د.لطرش حنان
جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية
كلية الاداب والحضارة الاسلامية
قسم التاريخ

السياسة الدينية الفرنسية وتأثيرها على المجتمع الجزائري من خلال كتاب شارل روبير اجيرون الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871م-1919م

French religiouspolicy and its impact on Algerian society through the book by Charles Robert Aguiron The MuslimAlgerians and France 1871-1919

ملخص:

لا ريب ان الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير انما هو القضاء على الأديان غير نصرانية تبعا لاستعباد اتباعها ، لذلك فقد كان للجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر عام 1830م ، وقد حاولت فرنسا مند احتلالها للجزائر فرض سلطتها بأساليب مختلفة سواء اجتماعية أوثقافية واقتصادية من خلال إصدارها لمختلف القرارات ؛خاصة وان الاستعمار الفرنسي هو استعمار ليبرالي بالأساس وذلك من خلال ممارسة الإبادة وطرد الشعوب والتعامل معهم بازدراء على أساس أنهم عبيد أو مواطنين من الدرجة الثانية ،وذلك من خلال إصدار مراسيم وقرارات لمحاربة الدين الإسلامي باعتبار التعليم والدين هما وسيلة لبث الروح الوطنية وتحصين الناشئة ضد أي غزو معنوي أوفكريوقد كتب الكثير من المؤرخين الاروبيين خاصة الفرنسيين عن واقع الاحتلال الفرنسي للجزائر وعبروا عنه وفق ايديولوجيات مختلفة منهم شارل روبير أجيرون حيث ترك هذا الأخير أعمالا تاريخية جليلة، تشهد له بالكفاءة العالية والروح العلمية النزيهة التي طبعت جل كتاباته عن تاريخ الجزائر المعاصر، وكتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا ، حيث كتب عن الاحتلال الفرنسي بكل موضوعية معتمدا على استنطاق الوثائق والأرشيف،

الكلمات المفتاحية:

السياسة الاستعمارية،،السياسة الدينية الفرنسية ،اجيرون،الجزائريون المسلمون وفرنسا

summary

There is no doubtthat the real and first motive in the opinion of those in charge of evangelizationis the elimination of non-Christian religions according to the enslavement of theirfollowers, so the religious aspect had a great impact on the occupation of Algeriain 1830, and France has triedsinceits occupation of Algeria to impose itsauthority in differentways, whether social, cultural and economicthrough the issuance of variousdecisions, especiallysince French colonialismisbasicallyliberalcolonialismthrough the practice of genocide and the expulsion of peoples and dealingwiththemwithcontempt on the basis thatthey Slaves or second-class citizens, through

Keywords

Colonial Policy, French Religious Policy, Ageron, MuslimAlgerians and France

مقدمة :

مند أن وطأت السلطات الاستعمارية الجزائر وهي تعمل على تنفيذ سياستها في استعمار الجزائر أرضا وشعبا وذلك من خلال طمس هوية المجتمع الجزائري المتمثلة في الدين واللغة والتاريخ ،فقد حاربت فرنسا الدين الإسلامي مند بداية الاحتلال ،وهي لم تسمح إلا للاكليركوس الرسمي بممارسته في المساجد خدمتا لمصالحهم،حيث طبقت سياسة دينية صارمة حاولت من خلالها تضييق الخناق على الدين الرسمي للجزائريين باعتباره الخطر الأكبر الذي يهدد وجودها وذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات

وذلك من خلال الحديث عن بعض الكتابات منهم كتابات شارل روبير اجيرون الدي يعد من ابرز الكتاب الفرنسيين عن الاحتلال الفرنسي والدي امتاز بكتاباته العلمية فجاءت نتيجتها مدينة للاستعمار بشدة وقد جلبت كتاباته سخط المعمرين والأقدام السوداء الفارين من الجزائر، بسبب تحدّيه للإيديولوجية الاستعمارية، فحاصروه في الجامعات الفرنسية بما يملكونه من نفوذ وضغوط، حتى صار معزولا عن النشاطات العلمية، فقلّ إشرافه على طلبة الدراسات المعمقة، مثلما ذكر تلميذه بينجامه ستوره .Benjamin Stora وعليه لم ينل من التكريم إلا النزر اليسير، فكان عليه انتظار حلول انعقاد الملتقى الدولي سنة 2000 في جامعة السربون، لينال حظه من التكريم، بحضور عدد كبير من المؤرخين الأجانب.

ومنه يمكننا التساؤل عن حقيقة شارل رويبراجيون و موقفه من الاحتلال الفرنسي ؟وكيف فسر اجيرون السياسة الدينية من خلال كتابه الجزائريون المسلمون وفرنسا؟

ونجيب علة هذه الإشكالية في مداخلتنا من خلال العناصر التالية:

1-حول مسيرة روبير اجيرون

2-التعريف بأهم كتاباته

3- أهمية كتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا

4- السياسة الدينية من خلال كتاب "الجزائريون المسلمون واروبا "

4-خاتمة

أولا–مولده شارل روبير اجيرون:

ولدالمؤرخ **شارلروبيراجيرون**عام 1923 ،فيمدينةليونبفرنسادرسالتاريخ،وتمتعيينهعام 1947فيثانويةتيوفيلغوتييالواقعة فيالجزائر،بعد عودته الى باريس عين أستاذافيثانويةلاكنالدوسو، (La kanal de Sceaux)قربباريس سنة 1957م،ثمأستاذامساعدا بجامعةالسربونسنة 1961 ،وهناكاحتكبالأستاذالذائعالصيت**شارل اندري جوليان**

1898–1991م،المختصفيتاريخالمغربالكبير،فأشرفعليه لنيلشهادةالدكتوراء الموسومة ب (الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919)التينوقشتسنة 1968 م .وعقبذلكعيّنمدرساًمحاضرا ثم أستاذا محاضرافي جامعة(تور Tours)منسنة 1969 إلسنة 1981 م،لينتقل بعدهاإلىجامعةباريس، كمارأسالمؤسسةالفرنسيةلتاريخماوراءالبحر، والمجلةالفرنسيةلتاريخماوراءالبحر[1].

وانسحبخلالالسنواتالأخيرةبسبب مرضه، .ألف الكثيرمن الكتبالتيتتناولالحقبةالاستعماريةلفرنسا،وخصوصافترةاحتلالهاللجزائر.

ثانيا–منأهممؤلفات شارل روبير اجيرون:الجزائريونالمسلمونوفرنسا،حكومةالجنرالبرتوزانباالجزائر (التيحكمتفي عام 1831،السياساتالاستعماريةفيالمغربالعربي،مناهضةالاستعمارفيفرنسامنذ 1914 - 1871 فرنساالاستعماريةأوحزباستعماري .

[1]-أنظر: فارلروبيرآجرون :الجزائريونالمسلمونوفرنسا)1871 1919 مترجمةمحمدحاج مسعود د/.بكلي الطبعة الأولى دار للكتاب الجزائر 2007 وكذلك

Hommage à Charle-Robert Ageron.sur: www.bouchene.com

وكتاب (تاريخ الجزائر المعاصرة 1830 . 1976)، الذي ترجمه ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، بقلم عيسى عصفور، وصدرت طبعته الثانية سنة 1982م. أما مقالاته العديدة (حوالي 120مقالا) فقد جمعت ونشرت في كتابين: (من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية، وتكوّن الجزائر جزائرية / Genèse de L'Algérie algérienne).

هذا وتجدر الإشارة إلى أن دار بوشن للنشر قد قامت بإعادة نشر أعماله في مجموعة واحدة خمسة أجزاء سنة 2005، بمقدمة من وضع تلميذهجيلبيرماينيير .(Gilbert Meynier)، أشار فيها إلى أن أستاذه كان يذكّره دائما، أن مهمة المؤرخ تقتضي تجاوز لبوس الإيديولوجية.

وفي عام 2000نظممليتقىفيجامعةالسوربونالفرنسيةضمعشراتمنالمؤرخين منجميعأنحاءالعالم،حيثنوهالحاضرونبالمستوىالعلميوالفكرالمنهجيوثباتالرأيالذيتمتعبهاجيرون .،توفييوم3سبتمبر 2008[2]. في الخامسة والثمانين من عمره و بعد أن أقعده المرض في السنوات الأخيرة، وجعله ينقطع عن العمل،ا وقد خسرت الجزائر بوفاته برأي الدكتور مُحَمَّد قورصو مؤرخا صديقا دأب على زيارة جامعاتها، والتعاطف معها في أوقات الشدة، آخرها محنة الإرهاب التي عصفت بنا، لذلك . يضيف فهو يستحق التكريم، علما أنه أشرف على بعض الطلبة الجزائريين في أبحاثهم ودراساتهم العليا، منهم عبد الحميد زوزو.

أمافيمايخصأعمالهالفكريةفقدتميزتبالروح العلمية،والاعتمادعلىالمادةالأوليةالضروريةللمؤرخ،والمتمثلةفيالأرشيفوالوثائق،التياطلععلىالكثيرمنهاسواءفيا لجزائرأوفرنسا .

ثالثا–أهمية كتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا:

كتابالجزائريونالمسلمونوفرنسا(1871-1919)

الذياعتبرهالمختصونعملمرجعيهالسياسةالجمهوريةالثالثة،التيكرستالإيديولوجيةالاستعمارية .

وصورةصادقةلصراعالذيداربينالمجتمعالمسلمالجزائري،وبينالمستوطنينالمدعومينبالإدارةالفرنسية،التيوظفتأدوا ت

[2]-Hommage à Charle-Robert Ageron.sur: www.bouchene.com

عديدةلتدميرتنظيماتالجزائرييناالاجتماعية،ولتشديدالخناقعلىالإسلامعنطريقتعطيلالقضاءالإسلاميوتشجيعال تنصير،وتخريبمؤسساتهمالتعليمية،وتخريبمؤسساتهمالتعليمية،وقهرالجزائرينبقانونالأهاليوالمحاكمالقمعية.[3]

هذا و قد اعتبر المختصون هذا الكتاب عملا مرجعيا لسياسة الجمهورية الثالثة، التي كرست الإيديولوجية الاستعمارية، المفوّضة لأركان وتنظيمات المجتمع الجزائري المسلم، من خلال القوانين والقرارات المجحفة، التي مست مجالات العقار، والضرائب، واستغلال الغابات، وقانون الأهالي، فأقصت الجزائريين من المواطنة الفرنسية، وأنزلتهم إلى درجة العبيد وهم في عقر دارهم. هذا و اعتبر المختصون كتاب اجيرون عملا مرجعا هذا وقد نوّه الدكتور محفوظ قداش بموضوعية هذا العمل ونزاهته وخلوّه من الشحنة الإيديولوجية أو مسحة التملق، الأمر الذي أضفى عليه المصداقة. واعتبره صورة صادقة للصراع الذي دار بين المجتمع المسلم الجزائري، وبين المستوطنين المدعمين بالإدارة الفرنسية، التي وظفت أدوات عديدة للقضاء ولتشديد الخناق على الاسلام عن طريق تعطيل القضاء الإسلامي وتشجيع التنصير، وتخريب مؤسساتهم التعليمية، وقهر الجزائريين .

واعتبارا لأهمية هذا الكتاب فقد قام المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954م، التابع لوزارة المجاهدين، بترجمته ونشره سنة 2007م وتكمن أهمية كتاب شارل روبير أجيرون . في نقطتين هامتين، تتمثل الأولى في كونه صورة موثقة لوقائع الصراع بين الكولونيالية الاستيطانية والمقاومة الشعبية الجزائرية، بأشكالها الجماعية والفردية، و النقطة الثانية تتمثل في وجهة نظر الطرف المقابل، و يعطي لنا الصـورة الحقيقية لسياسة الفرنسية الاستعمارية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية وكذلك الدينية للقضاء على ثوابت وهوية المجتمع الجزائري، وقد تجند العسكريون والسياسيون لإنجاز هذا المشروع الإجرامي.

ثالثا –السياسة الدينية من خلال كتابشارل روبير اجيرون "الجزائريون المسلمون وفرنسا":

تحدث اجيرون في الجزأ الأول من كتابه في الفصل الحادي عشر عن السياسة الدينية من 1891-1871م حيث خصه عن الحديث عن السياسة الدينية خلال الجمهورية الثالثة اتجاه الدين الإسلامي

[3]أنظر: شارلروبيرآجرون :الجزائريونالمسلمونوفرنسا)1871 1919 مترجمةمحمدحاج مسعود د/.بكلي الطبعة الأولى دار للكتاب الجزائر 2007 وكذلك

في الجزائر حيث اكد ان الاهتمام بشؤون العبادة بهده الفترة ضئيل لان هذه الفترة تميزت بالحرب التي أعلنها الجمهوريين ضد نظم الكنيسة؛وقد تمثلت سياسة الدولة في الاعتراف بالديانة الإسلامية إضافة الى دفع أجور القائمين عليها مع مراقبة وتعيين علماء الدين و كذلك الى اشرافها على أمور الحج.

وفي كثير من الأحيان كانت تستعمل أسلوب العنف ضد المؤسسات الدينية كغلقها لبعض لزوايا ،وتعليق مهام بعض الشخصيات الدينية أو حبسها دون الاستناد الى منطق معين وفي بعض الأحيان تكون قراراتها متناقضة .

من بين النقاط التي فصل فيها اجيرون السياسة الدينية قبل 1870م:

يؤكد اجيرون ان موقف فرنسا اتجاه الدين الإسلامي ظل يستند الى معاهدة ديبرمون حيث وعد باحترام الديانة الإسلامية وان هده المعاهدة ظلت حاظرة في أدهان الجزائريين المسلمين

وقد تمثلت السياسة الفرنسية في الفصل الجدري بين ما هو روحي وماهو دنيوي والحرص على الفصل بينهما وهدا مالم يتقبله المسلمون ويفهمونه مثل،التمييز بين المدرسة والمسجد وفك الارتباط بين الديانة والعدالة ومباشرة السلطة اللائكية واشرافها على السلطة الدينية[4].

–ففي حقيقة الامر ان السياسة الدينية الفرنسية كانت تتعارض بكيفية سلبية مع حرية الممارسة الدينية ،كما أكد اجيرون انه يصعب تقدير عصبية المسلمين الدينية في تلك الفترة لعدم وجود تقارير يعتمد عليها الباحث سواء من طرف ضباط المكاتب او اسهامات الإداريين زحتى المسلمون أنفسهم يصعب معرفة ارائهم ويعتمد المؤرخ فقط على الأفكار التي تناقلها الاروبيون عن الديانة الإسلامية وعن الممارسات الدينية [5].

كما اكد اجيرون ان ان الرأي الشائع نهاية الحكم الامبراطوري هو "ان مسلمي الاجزائر مرتبطون بالإسلام بشكل قوي" و"انهم واقعون تحت سحره" والواقع ان هناك شهادات عكس ذلك حيث صرح بعض الملاحظين بان "عبادة الإباء والاجداد" كما لاحظ البعض الاخر ان اسلام بعض البسطاء في الجزائر ينصب على قدسية بعض الشخصيات المحلية "أهل الخير"الاحياء والدين يلقبون

[4]-شارل روبير اجيرون،الجزائريون المسلمون وفرنسا ، ترجمة حاج مسعود ، ج1،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2007،ص 540
[5]-شارل روبير اجيرون ،نفسه،ص 542

ب"المرابو"وان تقديس أولياء الله لا يقل كفر عن غيره في نظر السلفية الإسلامية كما امن البعض بإمكانية انشقاق الإسلام الجزائري حيث امن بعض الضباط "بعدم وجود تعصب عميق لدى البربر" وقد يعود السبب لعدم توفرهم غعلى مساجد في قراهم وان معظمهم كان جاهلا ويفظل الأعراف المحلية على القانون القراني ،كما دهب بعض الملاحظين الى "التحدث عن اهمال الممارسات الدينية لدى المدنيين "فلا باست أكد أنه دائرة تنس التي تبلغ تعداد سكانها 16.000 مع هدا يمكن ملاحظة و حساب المصليين من الناس"[6]

– وقد روى اجيرون ما قاله لاباست عن وضعية الإسلام في الجزائر سنة 1857م فمن النادر ان نجد مسلما من بين سكان الريف من يسرد الصلوات المفروضة وتقتصر على صيام الشهر رمضان والمثقفون منهم يقوم بتمرير حبات السبحة وهو يردد الله أكبر الله غفور رحيم " وحسب اجيرون فهده الشهادات تساعد على معرفة دهنية الضباط من الإسلام في الجزائر وهي كفيلة بتحديد موقف الفرنسيين والمتمثل في "التوقف عن تشجيع التوجه الإسلامي ولا جدوى او ضرورة من بناء مساجد جديدة" و ان أكثر ما يولونه اهتمام هو تشجيع هؤلاء المسلمين لمخالفة تعاليم دينهم كشرب الخمر من طرف المسلمين او الجهل بأكل رمضان وهذا هو الأقرب للحضارة حسب رأيهم[7].

–أما عن المستوطنين فوضح اجيرون ان موقفهم من الإسلام في الجزائر تمثل في معارضتهم للقرارات والتنازلات حسب رايهم التي كانت تقدم لصلح الديانة المحمدية وأيضا تأدية الحج بمصاريف الدولة حسب اعتقادهم اظافة الى رفضهم لتشجيع الاجتماعات الدينية من طرف السلطة الفرنسية .

وقد أوضح اجيرون انه في حقيقة الامر لم تكن السياسة الرسمية تشجع الإسلام كما يتوهم أساقفة افريقيا [8]وذلك للأسباب التالية:

–**محاولة فرنسا تنظيم الديانة الإسلامية** للقرار الوزاري يوم 30أفريل 1851م ثم تلته عدة منشورات ففي ماي 1851تم إحصاء عدد المساجد والكنائس وتصنيفها الى أربع طبقات كما تم تحديد عدد

---

[6]–نفسه ،ص 543

[7]–نفسه،ص 544

[8]–نفسه،ص 545.

أجور القائمين عليها بالعبادة والمستخدمين ،اظافة الى انشاء سلك رسمي من علماء الدين المسلمين كما حاولووضع نظام مستلهم من التنظيم التقليدي التركي بدءا من القاعدة (السفلى) الحزابون – باش حزاب–مؤدن–باش مؤدن، الفئة العليا وتتشكل من الائمة –الخطباء –المفتين (المالكيين والحنفيين).

مع هذا يؤكد اجيرون ان اهتمامات السلطة الفرنسية بالعلماء الدين الرسميين ضئيل ولا يستحق مخاوف وتحديرات المحافظين الكاثوليك[9].

***موقف فرنسا من المؤسسات الدينية :**

وضح اجيرون انه تم بناء 5 مساجد في المذن الجزائرية من 1830–1860م غير ان هدا الرقم في حقيقة الامر لا يعوض ما هدموه عام 1830م فقد كانت تضم 31 مسجد جامع و109مسجد صغير و32 مصلى و12 زاوية وفي سنة 1862م لم يبقا منها سوى 9 مساجد كبيرة و19 صغيرة و15 مصلى و5 زوايا وهدا يبين مدا التدمير الذي تعرضت له المؤسسات الدينية ، ويظهر ذلك من خلال التصريح الإدارة نفسها سنة 1860 فيما يخص مؤسسات مجموع التراب الوطني "بانه نظرا لكون البنايات المخصصة للعبادة كثيرة جدا مند زمن الاحتلال فمن المستحيل التفكير في الاحتفاظ بها كلها ".

–موقف فرنسا من رجال الدين والمستخدمين في المؤسسات الإسلامية فقد حرصت على أن يكون هؤلاء المستخدمين يعينون من طرف الإدارة حتى تسهل مراقبتهم ،ولا تتكفل الإدارة الا بالمستخدمين الدين يعملون في المساجد الرسمية وقد بررت ذلك بمحدودية الموارد التي تقدمها المؤسسات الخيرة[10].

–ووضح اجيرون انه بعد صدور المرسومين 27 أكتوبر 1858و 18 اوت 1868م صارت نفقات الديانة الإسلامية من خصوصيات الميزانيات الإقليمية ومرتبطة بمداخيل أملاك الحبس التي تسيرها مصلحة أملاك الدولة أو الهياكل العسكرية .

---

[9]-نفسه،ص 464

[10]-نفسه،ص 546

-كما عملت الدولة على تقليص ومصادرة اوقاف تلك المؤسسات الدينية لصالح المستوطنين اما في المدن فقد تم الاستيلاء على بعض البنايات لمصلحة الطرقات أو تهيئة الساحات العمومية.[11]

***مصاريف الهيكل الإداري للمؤسسات الإسلامية:**

وضح اجيرون رغم ما ادعته الدولة من اهتمام بالمؤسسات الإسلامية في الجزائر وموظفيها لكن ما هو واقع غير ذلك فالمبالغ الذي خصت للديانة الإسلامية زهيدة سواء فيما يخص المؤسسات أو الهيكل الإداري فالميزانية الإقليمية خصصت مبلغ قدره 118.560 فرنك (عمال وعتاد)وكانت ميزانية الدولة من جهتها تدفع 68.000 فرنك لنفس الغرض[12].

***سياسة فرنسا على الممارسات الدينية الإسلامية:**

-حرصت فرنسا على التدخل في كل المناسبات الدينية التي تقام خارج المساجد ،حيث كان لزاما الحصول على رخصة مسبقة لاحياء الحفلات الدينية او أداء الزيارات خاصة اذا كانت لجمع الصدقات أو (الزيارة)التي يلتمسها المرابطون أو شيوخ الطريقة[13]. ويوضح ان تلك المكاتب كانت تسلم بشكل عادي من طرف المكاتب العربية وقد علق أنها لم تكون نيتها مراقبة المصادر المالية التي يتمتع بها الإسلام الجزائري ،بل كان الهدف هو إرادة كسر شوكة الجزائريين كما أكدَ ان المستوطنين هم من خلقوا جدل سياسي لاعتقادهم أن شعائر الحج التي لم تكن تؤدى على "حساب خزينة الدولة"لاعتقادهم أن فكرة منح الحكومة "سفرات الحج" مجانية رسخت في أدهانهم بصفة دائمة في الجزائر وحتى فرنسا ،غير ان فرنسا كانت تشترط على الحجيج أن يمتلكوا المصادر المالية الكافية للسفر الى الحج "ذهابا وإيابا"والهدف هو اجتناب حالات وقوع الحاج في عطل يفرض ارجاعه الى أرض الوطن على حساب الخزينة ،كما ان الهدف من الرقابة هو التعرف على عدد المسافرين ،كما أكد أن سلطات الدولة كانت ترى في الحج انه يحوله الى "شخص متعصب وعنيد"[14].

---

[11]-نفسه،ص 547.
[12]- نفسه،ص 547
[13]- نفسه ص548

[14]- نفسه،ص 548

وضح اجرون كذلك أن المدارس القرانية كانت أكثر عرضة للحرب المعلنة عنها وذلك قبل 1870،غير ان اعتقاد المستوطنين بان الدولة تشجع وتنفق على تلك المدارس القرانية فهو أمر خاطئ ،كما وضح ان وظيفة المعلم القراني صارت منذ 1852 مهمة مسموح بها بترخيص اداري وبتزكية المسلمين في سلم الإدارة الفرنسية ،ظف الى ذلك فالطلبة الدين كانوا يأتون من خارج الجزائر قل عددهم بسبب الحصار المفروض، ويعلل اجيرون ذلك بأن الهدف من هده السياسة هو لكي يقبل الجزائريون على المدارس الفرنسية وقذ خلص اجيرون أن هذه الأوضاع والسياسة المتمثلة في تعيين علماء وموظفين مأجورين ومراقبين من طرف الدولة الفرنسية

-حجز أملاك الحبوس وحصار الاحتفالات الدينية والحج ،ترخيص المدارس وكل هذا بعد معاهدة الاستسلام التي تشرع حرية الممارسة الدينية ،وهدا جعل الجزائريون يبحثون عن الطمأنينة لدى الطرق الصوفية هذه الأخيرة التي نظر اليها الاروبيون المعاصرون انها جماعات سرية ذات مارب سياسية ،حيث صرح أن لطرق الدينية ذور كبير في التعبئة ضذ الوجود الفرنسي وان هذه الهوة زادت خاصة بعد 1850م حيث عملت على تعميم هيمنتها خاصة درقاوة والرحمانية وبذلك ساءت العلاقة بين الزوايا والسلطة العسكرية ويرى أجيرون أن الفكرة القائلة بأن الاخوان "هم الحاجز الأكبر الذي حال دون انصهار الجنسين" شاعت في الكتابات الرسمية وفي كتابات الضباط الذين تعاطفو مع العرب وهو يرى أن هذا التعميم مبالغ فيه اذ لا يمكن اعتبار كل الطلرق اوكار للثورة غير ان ثورة 1871 التي كانت بزعامة الطريقة الرحمانية والشيخ الحداد أكذت مخاوف السلطات الاستعمارية وزادت من تحاملها على الطرق الصوفية[15].

***سياسة التنصير على يد لافيجري والاميرال دو جيدو** (DE GUEYDON) تمثلت سياسة هدا الأخير الذي كان منتصرا للكنيسة بتشديد الرقابة الشديدة على المرابطين وسحب الرخص كما قرر حظر الزيارات التقليدية وفي عام 1873 رفض تسهيل شروط الحج وارجاعها الى أسباب سياسية نوقد عمل هذا الأخير على مساندة سياسة تنصير المسلمين حيث صرح"لقد أمضيت

[15]- نفسه ،ص 549- 552

حياتي في حماية البعثات الكاثوليكية في كل بحار العالم ولن أرضى بأن اراها مقهورة فوق هذه الأرض الفرنسية ..."

حيث كان يسميه المستوطنون الاميرال الكاردينال وقد سمح للافيجريبانجازه المخصص لأيتام الأهالي ومهمته التبشيرية حيث بدأت من 1867-1868م في عام المجاعة وتمكن من جمع الأطفال تتراوح أعمارهم مابين 8 الى 14 سنة وبعد مدة شرعت عائلاتهم في البحث عنهم لانتشار اشاعات تنصيرهم وأمام تردد الكنيسة في اتخاد قرار رفع النواب المسلمين الامر الى فرنسا لكن الحاكم العام لم يشأ مضايقة وشل جهود لافيجري ورفض اقحام الإدارة فلجأ الى العدالة لكن لم يجدي الامر نفعا ولم يعد الا 100 ولد ومات منهم 600 وفي سنة 1871 لم يبقى سوى 378 طفل و342 بنت وزعوا بين فرنسا وMAISON CARRée في الحراش أو في قريتين العطاف (saint cyrprien والقديسة (saint monique) وأكد انه حصل على مبالغ كبيرة لتدعيم مشروعه التحضيري غير أن المستوطنين المعادون للنظام الكنسي كانوا ضد المبالغ المخصصة لمنجزات الاسقف وصوتوا ضدها في البرلمان غير أنه استمر في عمله وكان مصلرحا بسياسته التنصيرية حيث أنشأ المدارس أرسل بعض الأهالي الى البيوت الدينية بمرسيليا ليتعلموا بعض المهن ،أنشا مدرسة اكليركية خاصة بأولاد المسلمين في saint laurent dost في منطقة جبال البرانس،كما أشرف الإباء البيض الذين ارتدوا الزي الأهلي على تكوين العرب المبتدئين في مسائل الرهبنة بالحراش.

كما احتضنت كلية دراسة اللاهوت الخاصة بالمتدينات المبشرات عددا من المترشحات العربيات الشابات.

كما أكد أن أكثر جهود التبشير انصبت في القبائل لقول لافيجري "ان القبائل الدين جاءوا من أصول مسيحية لا يضمرون الجفاء لرجال الدين المسيحيين "فأنشأت سنة 1873 مركز تبشيري لدى ايت عيسى في تا جمونت ثم وتاوريرت و ابركانن وكذا بنى اليسوعين اثنان في ايت فراوسن

وايت يني [16].وقد ركزوا في دعواهم الاشعاع والرأفة ومنعوا من التحدث عن الثالوث والعقائد المسيحية.

أما في **الجزأ الثاني من كتابه "الجزائريون المسلمون وفرنسا"**: وضح اجيرون أنه في نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م وبعد 1871م تغيرت الأوضاع حيث وبعد عجزهم عن وضع اكليروس إسلامي فقد أسسوا هيكلة من موظفوا الشؤون الدينية لا توجد على رأسها قيادة معينة ولا تتمتع بالاستقلال في العمل حيث وضح أنه سنة 1900م أصبح الاكليركوس الإسلامي يتكون من 149امام مرتبطين بمؤسسة دينية مصنفة ضمن المؤسسات العامة تتمثل مهمتهم في امامة الناس في الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ماعدا الخطبة . ويصنف منهم مجموعة الى مرتبة مفتي وأجرهم أعلى من اجرة الامام العادي بعدهم يصنف المدرسون وهؤلاء يكلفون بتدريس العلوم القرآنية في المساجد من بينهم فئة الحزابة مقراوا القران والمؤذنون وأجورهم زهيدة ؛إضافة للقيمين على المساجد.ومنه نلاحظ ان فرنسا استمرت في تضييق الخناق على الدين الإسلامي وفصل الدين عن الدولة فلم يتغير شيء ماعدا بناء بعض المساجد وتقليص أجور المفتين كما أن مصالح الإدارة قررت الالتزام بحرفية القانون وعدم تخصيص أي مبلغ مالي يتعلق بشؤون الإسلامية ولا بتشييد أو صيانة المباني .

-كما تقرر انشاء جمعيات دينية إسلامية أو جمعيات "الفرانكو-إسلامية" وقد تأسست هذه الأخيرة سنة هذه الأخيرة سنة 1908 أولها جمعية تلمسان بتاريخ 7نوفمبر 1908 ثم جمعية الجزائر تسير من قبل مجلس الإدارة ورئيس ينتخبون لمدة 3سنوات ،وكذلك مدينة مستغانم وكان لهذه الجمعيات حق عرض أسماء القائمين بالشعائر لموافقة الحاكم العام مع وجوب التكفل بالمصاريف وبالتالي وضع بين ايدي الجمعية الدينية الإسلامية مساجد المدينة والعمالة وأضرحة المرابطين هكذا وضح حد للامال الساذجة التي جعلت المسلمين يعتقدون بين سنتي 1907 و1909م وأنه بإمكانهم استعادة الأملاك المصادرة كما أكد أن نظام الإسلام الفريد من نوعه في العالم والذي صنعناه بايدينا في الجزائر حسب تعبير chatelier لم يحظ بأية سمعة تذكر [17]

---

[16]-نفسه،ص ص 559

[17]- نفسه، ج 2،ص 487

-كما ان سلطة المرابطين تراجعت بشكل محسوس منذ انهيار مقاومتهم "ان نفوذ الزوايا صار في تناقص بسبب اتصالها بالسلطة الفرنسية"[18]وقد أشار اجيرون الى سياسة الحاكم العام غانزيchanzy : لقد عمل هذا الأخير على خطى سلفه لكنه وضح احترامه لدين الإسلامي والمناسبات الدينية وكذلك تقديره لكبار المفتين كزيارته لمساجد الحنفية والمالكية في مدينة الجزائر بمناسبة العيد الصغير ،حتى يؤكد بممارسة الحرية الدينية وان الإدارة لا تتدخل الا في تسليم الرخص أو اختيار المستخدمين وكثيرا ما كانت توضع شروط لتسليم الرخص كعدم جمع الاعطيات ،الزيارة،وعدم اطلاق البارود.

-بالنسبة لتعليم القران ضيقت الخناق خاصة بعد 1870 ،تمنح رخص مؤقتة تأدنللدراري "لمعلمي القران "بعد تحقيقات صارمة كما أنه لا يسمح بها حيث تتواجد المدارس الفرنسية .

-أيضا رقابة على شيوخ الزوايا حيث كان محظورا على شيوخ الزوايا التنقل أو جمع الصدقات أو الاعطيات (الزيارة) من الاعيان وبالتالي صعب عليهم الحصول على الرخص كما أعفيت بعض الزوايا من الضرائب ففي سنة 1878 أكد chanzy أمام المجلس الأعلى أن مرابط تيماسين وهو شيخ الطريقة التيجانية قد تقرر اعفؤه دون غيره من دفع الضريبة لان نفوده يخدم قضيتنا كذلك شيخ الطريقة الطيبية لشريف الوزان اظافة الى تشديد الخناق على رخصة الحج[19] .

كما تحدث عن السياسة الدينية خلال السنوات الأولى لنظام المدني (1878-1891 م) وقد أكد اجيرون أنه تزامن تدهور الأوضاع الدينية الإسلامية مع توسع النظام المدني وازياد الضغط من طرف النواب .

-المطالبة بغلق الزوايا باعتبارها أوكار للتعصب لاعتقادهم أنها وراء انتفاضة الاوراس سنة 1879م كتوقيف الشيخ طيكوك شيخ الطريقة السنوسية.

-فرضت رقابة صارمة على تنقل الوافدين الأجانب الدين كانوا يأتون لتحسيس القبائل الجزائرية بالصحوة الإسلامية .

---

[18]-نفسه ، ج2،ص 491

[19]- نفسه،ج2،ص 561

-غلق العديد من مدارس الزوايا كما فرضوا على مدارس الزوايا المرخص لها بالتدريس ان لا تفتح أبوابها للتلاميد خلال أوقات الدراسة الرسمية في المدارس الابتدائية الفرنسية.

-تقليص عدد الحجيج الى مكة وبكيفية تمكن من اجتناب انخراط الحجيج في الطرق الدينية التي تجهر بعداوتها لهيمنتها" متضرعين بانتشار وباء 1881 لكن السبب الحقيقي وراء كل هذه الإجراءات هي ثورة بوعمامة[20].

وقد خلص اجيرون ان العملية الوحيدة التي توصل اليها أهل التفكير بالنسبة لسياسة الدينية في الجزائر هي ضرورة الاعتماد على علماء الدين الرسميين ويتشاطر معه هذه النقطة كل من josphe chatelierو rinn وكذلك الإدارة العسكرية لشؤون الأهالي لكن النواب كانوا معارضين للفكرة.

-كما وضح الأجور الزهيدة المخصصة للائمة ولصيانة المساجد والتي يتضح من خلالها عدم المساواة في المعاملة بين الديانات ما دامت الميزانية تقدر للمسلم 7 مرات أقل مما تقدره لليهودي و22 مرة أقل من الكاثوليكي.

-تضييق الخناق على الحجاج ففي عهد الحاكم العام tirman حاول منع أصفار الحج نهائيا[21]،

ففي 1881-1886 تقرر حظر الذهاب للحج لتبريرات انتشار الأوبئة أو توتر العلاقات الدولية لكن لم تصدر القرارات بصفة رسمية وانما كانت تقدم توجيهات للإداريين للعمل على دفع الأهالي ليقرروا التخلي عن الحج والرخص لا تسلم الا لشخصيات معينة والسبب هو تخوف الإدارة من المشاعر التي يحركها الحج دوما في النفوس [22].

والهدف من هذه السياسة هو ادلال وتدمير الإسلام أو إحلال اللائكية في العقول حسب ما صرح به اجيرون .

خاتمة :

---

[20]-نفسه،ج2،ص 567.
[21]- نفسه،ج2،ص577
[22]- نفسه ،ج2،ص 579

مند أن وطأت السلطات الاستعمارية الجزائر وهي تعمل على تنفيذ سياستها في استعمار الجزائر أرضا وشعبا وذلك من خلال طمس هوية المجتمع الجزائري المتمثلة في الدين واللغة والتاريخ ،فقد حاربت فرنسا الدين الإسلامي مند بداية الاحتلال ،وهي لم تسمح إلا للاكليركوس الرسمي بممارسته في المساجد خدمتا لمصالحهم،حيث طبقت سياسة دينية صارمة حاولت من خلالها تضييق الخناق على الدين الرسمي للجزائريين باعتباره الخطر الأكبر الذي يهدد وجودها وذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات

ورغم ما حققه الفرنسيين بإصدارهم لمختلف القوانين والقرارات والتي كان لها تأثير على الجزائر حيث شهدت المنظومة الأخلاقية والدينية نأثيرات انعكست على المفاهيم والسلم القيمية والمعايير التي حكمت العلاقات الاجتماعية للمجتمع الجزائري،ورغم محاولة فرنسا دمج الجزائريين من خلال إنشائها لمختلف المؤسسات التعليمية كما سبق وأشرنا [*] إلاّ أنه وحسب قول ساطع الحصري «...لم تثمر من الثمرات الإيجابية ما يستحق الذكر ولم تنتج نتائج فعلية سوى تنفير الناس منهم، وإبعادهم عن المعاهد الفرنسية بوجه عام، لأن الناس صاروا ينظرون إلى جميع تلك المؤسسات كفخاخ للتنصير»[23]،كما أن إدارة الاحتلال سواء في مرحلة الحكم العسكري أو المدني حاولت فرض البديل الثقافي بالقوة لذلك بقيت تلك المؤسسات خالية، وكان الحائل الأكبر لتطبيق سياسة الفرنسة هو الاختلاف في العقيدة الدينية، والاختلاف الثقافي والحضاري، الذي جعل من المجتمع الفرنسي والمجتمع الجزائري نقيضين حقيقيين لا يتفقان في أي شيء، وعلى حد قول تورني (Tournier) إن القرآن والإنجيل لا يمثلان مجرد ديانتين متناقضتين بل يمثلان حضارتين متعارضتين، وأضاف أن الشعب المنهزم دوما يحن إلى حريته، وأن إدماجه لا يكون إلاّ بسلطة القوة.

---

[*] –حيث يقول دوطوكفيل أن المجتمع الاسلامي في افريقيا لم يكن متحضر، بل كان ذا حضارة فقط متأخرة حيث كان يوجد عدد كبير من المؤسسات الخيرية، ...وقد وضعنا ايدينا على كل مكان على عائداتها..لقد انقصنا عدد المؤسسات الخيرية وتخلينا عن المدارس وفرقنا حلقات الدروس وانطلقت الانوار من حولناوتوقف توظيف رجال الدين ورجال القضاء، بمعنى اننا أرجعنا المجتمع الاسلامي أكثر بؤسا وأكثر فوضى، أكثر جهلا وأكثر بربرية مما كان عليه قبل أن يعرفنا.الكسيدوطوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة وتقديم ابراهيم صحراوي، ص126.

[23] – ساطع الحصري، حوليات الثقافة العربية، ص 473.